

# إرادة الطفل

لجان جاك روسو

ترجمته الأستاذ عبد الكريم الناصري

—♦—♦—♦—

تكلفت في إحدى اللعين بتربية طفل « شقي » تعود تنفيذ كل ما يضطرب في عقله للصغير من رغبات ، وما يجول في قلبه للبريء من آماني ، كما تعود أن يحمل غيره على تنفيذها إن لم يستطع هو . وقد عرفت فيه تلك المادة منذ اليوم الأول لتكفلي تربيته ، إذ أراد أن يجرب خنق وذوق وعجائلي ، فرأى أن ذلك لا يتم له إلا بمضايقتي وتكدير خاطري . وبينما أنا غارق في نومي في منتصف الليلة الأولى ، إذا به يستيقظ من نومه ويجلس تحت سريره ، ثم يلبس ( الروب دي شامبر ) ويدعوني . فنهضت وأشملت الشمعة ، وسألته عن أمره وماذا يريد ، فلم يطالب شيئاً ، ولم يبد سبباً لهوضه ؛ بل عاد إلى سريره واحتواه النوم بمدرج سباحة ، راضياً عن تجربته ، مقتنعاً بحسن مجاملتي ، مبتهجاً لقوته وسلطانه ! وبعد يومين أعاد تلك التجربة بنفس النجاح ،

أن الجنس الآري أو الجرمانى هو أفضل الأجناس البشرية ، وأن الشعوب للسامية — وهى مهبط الرسمى ومنبع العرفان — شعوب منحلة لا حضارة لها ولا فن ؟

إن هذه الدعوى المريضة بأخطاها بمض الأجناس وتفوق للبيض الآخر ، وما ترتب على ذلك من كرب وحرب ، ومطاردة وهداء ، ما كانت لتستند إلى دليل من العلم أو برهان من التجربة ، ألهم لإنها السياسة هى التى أحلت ذلك . والسياسة والعلم لا يتفقان . لأن العالم Scientist يحترم الحقائق لذاتها ، فلا يجازى ولا يتأثر بناية ، فهو فى أحكامه موضوعى objective بينما السياسى ذاتى subjective يضغى بالحقائق العلمية فى سبيل مبدئه وغايته . ولذلك لا يكون — ولن يكون — العالم سياسياً إلا إذا طلق العلم ومنشأنف حكم السياسة للمابق على الأجناس أمام قضاة العلم فى المقالة القادمة إن شاء الله

( بنت الرضا — السودان )

عبد العزيز عبد الحميد

أما أنا فلم أبدأ أية إشارة إلى للضجر ، أو علامة على نفاذ الصبر ، ولكنى قلت له حين عاتقنى عند عودته إلى النوم : « إسمع يا صديق الصغير . إن هذا حسن جداً منك ، ولكن لا تكررهُ ثانية »

وقد أثارت هذه الكلمة فضوله وهيجت منه حب الاستطلاع وأراد أن يرى كيف أجرؤ على عصيان أوامر السامية . لذلك لم يفته فى الليلة التالية أن يمهض فى منتصفها ويدعوني .. سألته ماذا يريد . فأجاب إنه لا يستطيع أن ينام . فأبدت أسنى للشديد وسكت . ثم رجاني أن أشعل الشمعة ، فاستوضحته للسبب ، وصحت . عندئذ هب يدور حول الغرفة راكضاً ، صائحاً ، مغنياً ، ضاحكاً صاخباً ، قائلاً المناشد والكراسى ، كل ذلك لإزاجى والانتقام منى . ومع ذلك ، فقد نهضت بصمت وسكون ، وأشملت الشمعة ، ثم تناولت صاحبي الظريف بيدي ، وأدخلته حجرة له مجاورة للحجرتى وتركته هناك بدون ضوء ، بعد أن أغلقت الباب عليه بالفتاح ؛ ورجعت إلى فراشى بدون أن أتقوه بكلمة واحدة . ولا حاجة إلى القول بأن الضجة لم تنقطع بسرعة ، ولكنى أصغيت — بعد هدوئها — فعلمت أنه يرتب فراشه ويستعد للنوم ، فاطمئننت وهداً روعى . ولما كان الصباح دخلت غرفته فرأيتُه مستلقياً على فراش صغير وغارقاً فى نوم عميق

ولا تظن أن هذا اللطاغية الصغير لم يكن يحسن من أنواع المشاغبة والشاكرة إلا هذا النوع . كلا ، فى أية ساعة يحلوه الخروج فيها ، يجب على الربى المسكين أن يكون مستعداً لاسطحابه — أو بالأحرى لمقابته والجرى وراءه — وكان يُعنى عناية فائقة ومحتفل احتفالاً خاصاً باختيار الوقت الذى يكون فيه صريه منهمكاً فى أعماله أشد الانهماك ، كأنه يريد أن ينتقم منه على الراحة التى اضطر فى الليل إلى تركها له

\*\*\*

... لذلك لم يفته فى اليوم التالى أن يقطع على عملى ويطلب منى أن أصحبه ، وأترك ما أنا فيه من عمل بمزيد السرعة . فرفضت ، ولكن رفضى لم يزد إلا إلحاحاً وإصراراً ...

وأخيراً قلت له : كلا ! إنهم أنى حين أنفذ إرادتك ، فإنك تعلمنى أن أنفذ إرادتى أيضاً ... لنى لا أريد الخروج ! فأجابنى على الفور : حسن ! فأتى خارج وحدى !

وأدرك مع الدهشة المظيمة أن عقدة كتفه الثينة ، وحاشية كتيبه الذهبية ، لم تنفعا كثيرا أو قليلا ، ولم تحملنا للناس على احترامه وتقديره ، أو تضطرم إلى مراعاة رتبته ومقامه ... .  
وكنت في أثناء ذلك قد أرسلت صديقا لي لا يعرفه ، ورجوته أن يتبعه على ألا يشمر به ، فاقنني أثره مدة ، ثم استوقفه وراح يبطه ، ويهول له خطورة عمله ، ووقاحة فعلته ، ووخامة عاقبته حتى لان وارتدع ، وأحس بالخوف وشمر بالندم ، ورجع إلى مرتبكا مذهولا خائرا للدم مطاط على الرأس تملوه سفرة وترهقه ذلة ولكي يتم أبوه الدرس ، ويجعله قاسيا لا ينسى ، نزل في الدقيقة التي رجع فيها ابنته بحجة الخروج ، والتقى به على الدرج ؛ وأدرك الطفل أنه لا مناص من أن يقول من أين جاء ، ولماذا لم أكن معه ... لقد كان المسكين يود في تلك الدقيقة لو تنور به الأرض وتبتلته ، على أن يجب على تلك الأسئلة المخرجة ... ولكن أباه لم يطل في تضييفه ولومه ، بل قال له : « عند ما تريد الخروج وحدك ، أخبر صديق . وإن عدت إلى فملكك التي فعلت فإنك ظالم نفسك - لأنني سأعدك لصا حقيقا ولن أقبلك ولا أسمح لك بالدخول في بيتي ! »

عبد الكريم الناصري

### إعلانات

تعن مصلحة الأموال المقررة فقد  
دفتر القسائم رقم ٧ ( أموال مقررة )  
مجموعة رقم ٩٨٤٥٢ باقي به القسائم من  
٢١٣ إلى ٢٦٨ بيضاء  
وقد اعتبرت المصلحة هذه القسائم  
لاغية فكل من حاول استعمالها يعرض  
نفسه للمحاكمة الجنائية . ٦٩٨٦

قلت : « كما تريد » . . . ورجعت إلى عملي متفانلا عنه ... أخذ بلبس ملبسه مهموما لأنني لم أنهج سبيله وأسلك مسلكه . ولما انتهى من لبسها حياتي تحية الخروج ، فرددت التحية ، وأراد أن يندرنى الإنذار الأخير ، فأخبرني صارخا بأنه ذاهب إلى آخر الدنيا . فأجبت به بأني أتمنى له سفرا سعيدا وعودا حميدا ... عند ذلك ازدادت دهشته ، وعظمت حيرته ، واشتد ارتباكها ، وطاب من خادها أن يتبعه ، ولكن الخادم - الذي كنت قد حذرت من مرافقته وتنفيذ أمره هذا - قال إنه لا يملك من الوقت ما يسمح له بمصاحبته ، وأنه يراعى مصلحتي وينفذ أوامري قبل أن يني بمصاحبته وأوامره ...

وكيف بمقل أن تترك طفلا يخرج وحده وهو يعتقد أن الناس جميعا مهتمون بأمره ، حريصون على إرضائه ، مستعدون لخدمته ؛ ويظن أن السماء والأرض مكلفتان بصيافته وحمانيته . لقد أخذ يشمر بضعفه وبحس بمجزه ، ويفهم أنه وحيد وسط أناس لا يعرفونه ، ولا يقدرونه ، ولا يحفلون به . ويمثل المخاطر التي سيلاقها ، والمقبات التي ستعرضه في طريقه ... ومع ذلك فقد ظل يلح في الخروج

... نزل الدرج يعطه وذهول . ودخل للشارع ، مزينا نفسه بأن ما قد يصيبه من سوء تقع مسؤوليته على . وبقيت أنا أراقبه وأتابع حركاته . وما كاد يتقدم بضع خطوات حتى سمع أصواتا تتحدث عنه وتصل إلى أذنيه عن يمين وعن شمال - إلى أين يذهب هذا السيد الجليل وحده ؟ -  
- إنه تائه يا صديقي . أريد أن أرجو منه الدخول إلى بيتنا - أنظر يا صاحبي إليه جيدا ! ألا ترى أنه ( شقي ) طرد من بيت أبيه لشقاوته وعناده ؟ دعه يذهب إلى حيث يشاء -  
- حسن ! ليصحبه الله ! إلى خائف عليه من المصير ...  
وما كاد سيدنا المتمرد يسير ليلا حتى التقى بطائشين في مثل سنه تقريبا ، راحا يفيظانه وينهرانه ويضحكان منه ... وهكذا ، كلما تقدم وجد أسنانا من المربكات وضروبا من المرفقات ... لقد وضحت لديه قيمته عند الناس ، ودهم أنه وحيد معدوم الحماية محروم السند ، ورأى سخوية الناس منه ، واحتقارهم له ،